الدراسات التي أُجريت من خارج فلسطين، وتلك التي أُجريت من داخل فلسطين، حول العدو الصهيوني هذا لم يسمح بتوضيح الفروق الفعلية بين خطر الوجود الصهيوني المباشر على ارض فلسطين وشعبها، وبين خطر هذا الوجود على المنطقة العربية المحيطة بفلسطين، والفروق الدقيقة بين واقع الخطرين.

ليست هذه محاولة للفصل بين خطر الوجود الصهيوني على فلسطين وبين خطره على الامة العربية كلها؛ ولكنه خطوة ضرورية لكي يمكن فهم اختلاف زاوية النظر التي ينظر منها الشعب الفلسطيني الى عدوّه الصهيوني وزاوية النظر، أو زوايا النظر، التي تختلف بحكم ظروف وموقع القطاعات المختلفة من الامة العربية والوطن العربي، وهو ما يقرّ به الكثيرون، منذ زمن، بالتحدث عن دول الطوق والمواجهة، وعن دول الاطراف والمساندة، مع التحدث عن أرض فلسطين المحتلة وشعبها عادة في اطار المجموعة الأولى دون تمايز ضروري يرتّب، بالضرورة، تميّز مواقف الشعب الفلسطيني عن المواقف العربية الاخرى. على سبيل المثال، اتفق المحللون العرب جميعاً على توصيف العدو الصهيوني بالصفات التالية: انه عدوّ غاصب، محتل، عنصري، اجلائي، اقتلاعي، توسّعي، وأضاف البعض على ذلك انه قاعدة للعدوان الاستعماري العالمي، وأضاف عدد أقل على ذلك انه قاعدة لعدوان «حضاري» على الأمة العربية، وأكد آخرون انه قاعدة حرب دينية ضد الاسلام.

فاذا أخذنا كل هذه الاوصاف، صفة بعد أخرى، لوجدناها جميعاً متجسدة في فلسطين، ولوجدنا أن الشعب الفلسطيني يدفع، بشكل مباشر، ثمن هذه السياسة العدوانية، وهو الذي تحمّل، بشكل مباشر أيضاً، كل مترتباتها؛ ثمّ يقل التأثير الفعلي لهذا الوجود الصهيوني، بكل صفاته، كلما ابتعدنا من المركز، أي فلسطين، بل يصل الأمر الى حد غياب الشعور بوجود هذا الخطر الصهيوني في مناطق الأطراف، وفي خضم المشكلات الحياتية اليومية، والأخطر من كل ذلك في الخطط السياسية المبنية على النظرة القطرية المحدودة، خاصة في غياب المواقف التكاملية بين الدول العربية بعضها البعض.

ولمزيد من التفصيل، يمكن المقارنة بين ما يعاني منه الشعب الفلسطيني بشكل مباشر من توسعّية العدو الصهيوني التي تعني، بالنسبة اليه، الاستيلاء على الأرض، وطرد السكان، ومصادرة البيوت، والسيطرة على الموارد المائية، وحتى الحرمان من تجديد البيوت القديمة، واقامة مستوطنات تتكاثر كالفطر بقدوم المهاجرين من الخارج. مثل هذا الخطر المباشر قد يكون مدركاً لدى القيادات السياسية العربية خارج فلسطين، وربما لدى بعض قطاعات الجماهير، ولكنه ليس ملحّاً بأي حال؛ بينما تعني التوسعية لدول الطوق تمدد الجيش الاسرائيلي واحتلاله للاراضي العربية خارج فلسطين، وهو تمدد بلغ أقصاه في حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧، وأخذ ينكمش بعد حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣، ولا تزال الشرعية الدولية ترفض وجوده، بغض النظر عن الواقع الفعلي في جنوب لبنان وسوريا؛ بينما تتردد الشرعية الدولية في هذه النقطة عندما يتعلق الامر بالضمّ الفعلي للاراضي الفلسطينية المحتلة، وتكتفي الدول العظمى بابداء الاستنكار اللفظي، الذي لم يحم الارض، ولم يمنع سيطرة العدوّ الاسرائيلي من اغتصاب ٥٢ بالمئة من اراضي الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، من طريق المصادرة، منذ العام ١٩٦٧، بالاضافة الى ما صادره، من قبل منذ مطلع القرن، وبالذات بعد العام ١٩٤٨.

صحيح ان عملية الاغتصاب والسيطرة لم تعد سهلة أمام العدوّ الصهيوني الذي تمكّن، من قبل، من ازالة ٣٠٠ قرية فلسطينية بعد العام ١٩٤٨، ولم يتمكن الاّ من ازالة خمس قرى بعد العام ١٩٦٧، والذي يواجه، في ربع القرن الاخير بتصدي الشعب الفلسطيني لكل محاولة لاغتصاب